القرآن الكريم كما فسّره الرسول صلى الله عليه وسلم

بقلم : الشيخ محمد بن جميل زينو

إن تفسير الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للقرآن هو أعلى أنواع التفسير بعد تفسير القرآن للقرآن ، لأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو أعلم بمراد الله من كلامه ، وهو الذي قال عنه ربه تبارك وتعالى : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ (سورة النجم)

وقد أمرنا الله تعالى بالأخذ بما قاله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال تقدست أسماءه : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (سورة الحشر ــ ٧)

وقد أشار الله تعالى إلى تفسير الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للقرآن ، وذلك حينما خاطب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة النحل ــ ٤٤)

وفي هذه الآية دلالة على واجب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : وهو بيان القرآن وتفسيره للناس كي يفهموه ويعملوا به ، وقد قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : « **أَلَا وَإِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ** » (صحيح رواه أبو داود) .

فهذا الحديث يبين أن الله تعالى أعطى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم القرآن ، وأعطاه مثله معه ؛ وهو شرحه ومعرفة معانيه ، وهي سنته صلى الله عليه وآله وسلم قولاً ، أو فعلاً ، أو تقريراً .

فهذه الآيات المتقدمة ، والحديث السابق يرد على مزاعم الذين يسمون أنفسهم بـ (القرآنيين) ويستغنون عن السنة المطهرة ، ونسأل هؤلاء : إن القرآن أمر بالصلوات الخمس ، ولم يذكر عدد ركعاتها ، وأوقاتها ، فكيف عرفتم عدد ركعاتها ، وأوقاتها ، وبقية متطلباتها ؟! الجواب : لا بد من معرفة السنة لبيان ما أجمله القرآن من صلاة وزكاة وحج وصيام وغيرها .

علماً بأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يفسر القرآن كله ، بل ترك منه لصحابته الذين ربَّاهم وعلمهم ، ودعا لهم بفهم القرآن الكريم ، وقد قال لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما : « **اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ** » (رواه البخاري) .

ثم جاء التابعون ، فأخذوا عن الصحابة كمجاهد وهو تلميذ ابن عباس ، وجاء العلماء بعد ذلك فأخذوا عنهم .. فالتفسير له طرق :

١ ــ تفسير القرآن بالقرآن .

٢ ــ تفسير القرآن بالحديث الصحيح .

٣ ــ تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين وغيرهم . وقد ذكرتها بالتفصيل في كتابي (كيف نفهم القرآن ؟) .

نماذج من تفسير الرسول ﷺ :

أولاً : من صفات اليهود والنصارى :

١ ــ قال الله تعالى : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ

﴿عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧﴾ (سورة الفاتحة)

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « **المَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ** » اليهود ، و « **الضَّالِّينَ** » النصارى (رواه الترمذي وغيره وحسنه محقق جامع الأصول) .

٢ ــ قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ۝٥٨ ﴾ (سورة البقرة)

(أ) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ : ﴿ ادْخُلُوا البَابَ سُجَّداً ، وَقُولُوا : حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ﴾ فَبَدَّلُوا ، فَدَخَلُوا البَابَ يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ ، وَقَالُوا حَبَّةٌ فِي شَعِيرَةٍ** » (متفق عليه) .

(حطَّة : أي حُطَّ عنا ذنوبنا ، والرَّغَدُ : سعة العيش) .

(ب) وفي رواية الترمذي في قول الله تعالى : ﴿ **ادْخُلُوا البَابَ سُجَّداً** ﴾ قال : (دَخَلُوا عَلى أَوْرَاكِهِمْ : أي منحرفين) .

قال : وبهذا الإسناد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ (سورة البقرة ـ ٥٩)

قال : « **قالوا حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ** » .

(جـ) قال الحافظ في الفتح : والحاصل أنهم خالفوا ما أُمروا به من الفعل والقول ، فإنهم أُمِروا بالسجود عند انتهائهم ، شكراً لله تعالى ، وبقولهم (حِطَّة) فبدلوا السجود بالزحف ، وقالوا : حِنْطَة بدل

(حِطَّة) أو قالوا : حِطَّة ، وزادوا فيها حبة في شعيرة (جـ ٨ ص ٣٠٤) .

●●

● **ومن فوائد الآيات والأحاديث ما يأتي :**

١ ــ الترغيب في سلوك سبيل المؤمنين ، والترهيب من سلوك اليهود المغضوب عليهم لكفرهم وإفسادهم ، وقد فقدوا العمل ، ومن النصارى الضالين الذين فقدوا العلم ، أما المؤمنون فقد جمعوا العلم مع العمل .

٢ ــ التحذير من تحريف النصوص الشرعية للخروج بها عن مراد الشارع كما فعلت اليهود : لقد أمر الله اليهود أن يقولوا (حِطَّة) فقالوا (حِنْطَة) تحريفاً ، وأخبرنا أن الله (استوى) على العرش ، فقال المتأولون : (استولى) فانظر ما أشبه لامهم التي زادوها بنون اليهود التي زادوها في (حطة) فقالوا : (حنطة) (ذكرها ابن القيم في نونيته.، ونقلها عنه المفسر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في كتابه « منهج ودراسات ») .

٣ ــ وقريب مما ذكره ابن القيم عن المتأولين في تحريف النصوص ما قرأته لبعض المفسرين المعاصرين ، فقد قال عند تفسير قول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ (سورة القلم ــ ٤٢)

فقال : وفي الحديث : « **يَسْجُدُ لِلَّهِ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ** »

(الحديث رواه البخاري ومسلم) .

وقد فعل مثل هذا في بعض مختصراته للتفاسير .

ولما سألته عن سبب بتره لأول الحديث : وهو قوله صلى الله

عليه وآله وسلم : « **يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ** » .. الحديث أجاب بقوله : كل المفسرين أوَّلوا الآية ! ثم قال : الذي أريده من الحديث أخذته !

ـ وهذا خطأ كبير : إن المفسرين كلهم لم يتأولوا الآية : كالطبري وابن كثير ، وذكروا الحديث بتمامه ، حتى قال العلامة : صديق حسن خان : والشوكاني أيضاً عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ** ﴾ : (إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل ، ويقصد أن الحديث الذي فسر الآية ، وهو خير مفسر لكلام الله تعالى ، وبذلك لا يستلزم تجسيماً ولا تشبيهاً فليس كمثله شيء ، ثم ذكرا قول الشاعر :

دعوا كلَّ قول عند قول محمد
فما آمِنٌ في دينه كَمُخَاطِر

ـ أما قوله : أخذتُ من الحديث ما أريده ، لا يجوز لمفسر أن يقوله ، لأنه غيَّر معنى الآية التي تثبت الساق لله تعالى على ما يليق به سبحانه ، فظهر من حذفه لأول الحديث لئلا يثبت الساق ، ولأنه لو ذكره لبطل مراده وهو التأويل وهذا نوع من التحريف والتبديل والتلاعب بالنصوص الذي حذرت منه الآيات السابقة ، وسيأتي تحذير الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لمثل هذا العمل الذي وقعت فيه اليهود والنصارى .

٤ ـ ومن هذا التحريف ما سمعته من أحد الخطباء يوم الجمعة حيث قال : جاء رجل أعمى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وطلب منه أن يُرُدَّ له بصره ، فردَّ له بصره ، ولما انتهى لحقته ،

وقلت له : هل هذا الذي ذكرتَه هو نص الحديث ؟! .

إن نص الحديث يقول : جاءَ أَعْمى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال : يا رسولَ اللهِ : ادْع الله أن يُعافِيَني ، فَقال : « **إنْ شِئْتَ صَبَرْتَ ، وَإنْ شِئْتَ دَعَوْتُ** » ، فقال : بل ادْعُه ، فأَمَره أن يَتَوَضَّأ ويُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ ويَدْعُو .. الحديث (صححه الترمذي) .

فقال لي : الذي أريده من الحديث أخذته ، فقلت له : هذا تدليس !! لأنه أوهم الناس أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي ردَّ له بصره ، بينما الحديث ينص على أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم دعا له حينما طلب منه الأعمى الدعاء ، وهي معجزة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، فرد الله له بصره ، والرسول صلى الله عليه وآله وسلم لا يملك رد البصر وغيره .

٥ ــ هذا التحريف الذي ذكره ابن القيم في تبديل النصوص ، وهذا البتر لأول الأحاديث الذي غيَّر المعنى هو من عمل أهل الكتاب ، وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأن أمته سيقعون فيه ، فقال محذِّراً : « **لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْراً بِشِبْرٍ ، وَذِرَاعاً بِذِرَاعٍ ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ** » قالوا : اليهود والنصارى ؟! قال : « **فَمَنْ ؟!** » (متفق عليه) .

●●●●●

ثانياً : معنى الوسطية والشهادة :

١ ــ قال الله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (سورة البقرة ــ ١٤٣)

٢ ــ عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « **يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَقُولُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ ، فَيَقُولُ : هَلْ بَلَّغْتَ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ . فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ : هَلْ بَلَّغَكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ ، فَيَقُولُ : مَنْ يَشْهَدُ لَكَ ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ ، فَيَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ ، وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً .. ﴾** » والوسط : العدل (رواه البخاري : من فتح الباري ١٢/٨) .

● **ومن فوائد الآية والحديث ما يأتي :**

١ ــ قال الإمام الطبري : وأما الوسط فإنه في كلام العرب الخيار ، يقال منه : فلان وسط الحسب إذا أرادوا بذلك الرفع في حسبه ، و (هو وسط في قومه وواسط) .

وأنا أرى أن (الوسط) في هذا الموضع هو الوسط الذي بمعنى : الجزء الذي هو بين الطرفين ، مثل وسط الدار .

وأرى أن الله تعالى شأنه ، إنما وصفهم بأنهم (وسط) لتوسطهم في الدين ، فلا هم أهل غلوّ فيه ، كغلوّ النصارى الذين غلوا بالتَّرَهُّبِ ، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه ، ولا هم أهل تقصير فيه ، كتقصير اليهود ، الذين بدَّلوا كتاب الله ، وقتلوا أنبياءهم وكذَبوا على ربهم ، وكفروا به ، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه ، فوصفهم الله بذلك ، إذ كان أحَبُّ الأمور إلى الله أوساطها (انظر التفسير ١٤٢/٨) .

٢ ــ قال الحافظ : لا يلزم من كون الوسط في الآية صالحاً لمعنى

التـوسط أن لا يكـون أريـد به معنـاه الآخر كما نص عليـه الحديث[1] ، فلا مغايرة بين الحديث وبين ما دل عليه معنى الآية والله أعلم .

٣ ـ ويستفاد من الآية والحديث : أن الأمة الإسلامية خير الأمم ، لأنها تتصف بالعدل والتوسط في عقيدتها كما بيَّن المفسر الطبري رحمه الله تعالى .

٤ ـ التحذير من الغلو الذي وقع فيه بعض المسلمين ، ولا سيما في وصفهم للرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأنه أول خلق الله ، وأن الدنيا خلقت لأجله ، وأن جميع الأشياء خلقت من نوره ، وأنه يعلم الغيب ، وأنه يشفي قلوبها وأبدانها من الأسقام الحسية والمعنوية وغيرها من الاعتقادات الباطلة .. قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : « **لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ** » (رواه البخاري) .

أركان العمرة وواجباتها

- أركان العمرة : الإحرام ، والطواف والسعي .
- وواجباتها : الإحرام من الميقات المعتبر لها ، والحلق أو التقصير .
- والأركان لا بد منها ولا يجبر تركها بشيء ، والواجبات يجبر تركها بدم .

---

(١) وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « **الوسط : العدل** » .